

حاضرة ذلك الحضور الممل والموجه للنقد خدمة لذات الناقد.

والمبدع عندنا كثيراً ما يشكو من انعدام النقد، فكثيرة هي الأعمال الإبداعية المنشورة التي لم تحظ بالتفاؤل النقاد إليها (وحتى وإن فعل هؤلاء فلا يغدو عملهم أن يكون انطباعياً بعيداً عن الموضوعية). ويتهم الناقد الإبداع عندنا بالضحالة والعقم، والفقر في المحتوى وبعده مشروع أدب. ومن ثم على النقد أن يتوجه إلى نصوص أكثر غنى وحيوية، وقد يتمثل له ذلك في نصوص تراثية، أو حديثة غير جزائرية، ولا يعود إلى النص الجزائري إلا بدافع النعرة والوطنية. ويردّ الناقد على زعم المبدعين بانعدام النقد مؤكداً على وجوده في الجزائر ويستدل بالدراسات العديدة⁽¹²⁾ التي تصدر في الصحف والمجلات المتخصصة، ولعل هذا ما يؤكد المقولة التي كررها شابيرو بـ "أن النقد ينتعش عندما يفشل الأدب"⁽¹³⁾، ويعتقد الكثير من النقاد أن الأدب عندنا قد يفشل، وخاصة الشعر، إذ إننا لا نستطيع الإقرار بوجود شعرائنا، ولكن هل فشل الأدب لينجح النقد؟ الواقع أننا إن قبلنا بمنطق هؤلاء نلغي كل إبداع في الجزائر والحقيقة غير ذلك إذ يكون من حق المبدعين أن يلغوا كل نقد عندنا، أن يلغوا النقاد أيضاً، وينصبوا أنفسهم أنبياء هذا العصر، وهذا ما يوصلنا إلى مطلب شابيرو بـ "أن يفترق الشاعر والناقد"⁽¹⁴⁾.

ومن الحقائق التي نتفادها في ثقافتنا أن الناقد عندنا يعيش حالة إما على الثقافة العربية التراثية أو على الثقافة الغربية، والناقد في المقام الأول مزود بأدوات إجرائية مستمدة من ثقافة غير غربية. وقد وجد بعض الجزائريين حلاً لهذه المعضلة، فالناقد عبد المالك مرتاض تساءل "كيف نفيد من التراث، ونتعلق بالحدائث في الوقت ذاته؟ وهنا تكمن الحكمة، أي هنا تتجلى المشكلة التي تتطلب حلاً يقوم في كيفية حسن تمثيل القطبين والإفادة منهما معا بحيث يصبحان جدلية الفكر الأصيل المتجدد. ذلك بأن من الناس من يزعم أن الأجداد لم يعرفوا نظريات نقدية يمكن التعويل عليها، أو الانطلاق منها نحو الحدائث على الأقل، ولكننا نعتقد غير ما يعتقد هؤلاء"⁽¹⁵⁾ ولعل ما قصد إليه مرتاض هو محاولة المزوجة بين التراث، الحدائث عن طريق الانطلاق من الحدائث نحو التراث ثم العودة إلى الحدائث ثانية، بمعنى أن نطعم رؤية الناقد للنص الأدبي بأدوات نقدية حديثة دون أن نفصل هذا الناقد عن جذوره وهو طرح جريء لمعالجة هذه الأزمة ومع ذلك يبقى السؤال مطروحاً بأي مستوى نتعامل مع الحدائث؟ ومع أي نوع من الحدائث نتعامل لأن هناك حدائث لا حدائث واحدة. ويبدو أن